

أتمم القصة . بل عنيت أن أقول
إني لم أترجمها إلى الانكليزية .
لأن أصلها الفارسي كما تعلم
موضوع بقلم حاجي بابا . وإن
لم توجد منه نسخة غير التي
عندي ... ثم طرأت علي أعذار
خاصة اضطررت معها إلى عبور

المحيط إلى أمريكا . وهناك كدت أنسى كل شيء
في العالم القديم

ولما عدت إلى انكلترا وجدت خطاباً ورد
عليّ من فارس من موظف كبير فيها ، فعادت إلى
ذهني الذكريات الآسيوية . ولما فضضت الكتاب
وقرأته لم أتمالك نفسي من الصياح : « هذا هو
التشجيع ! إن هذا الخطاب القصير أكثر تشجيعاً
لي على الاستمرار في كتاب « حاجي بابا » من أي
مشجع آخر . وسأتلو عليك هذا الكتاب ثم
أخبرك لماذا رأيته مشجعاً . وقد كان الكتاب
باللغة الانكليزية وبهذا الأسلوب الغريب :
صديق العزيز :

أنا غضبان عليك ، وليس غضبي بغير سبب .
لماذا وضعت كتاب حاجي بابا يا سيدي ؟
الشاه غضبان عليك ، وقد حلفت له أنك لم
تكتب هذه الأكاذيب ولكنه قال : بل كتب
كل الناس غضاب عليك . إن الكتاب كله
أكاذيب فمن أخبرك بها يا سيدي ؟ لماذا لم تسألني ؟
هذا سيّ جداً منك

تقول إن الشعب الفارسي قد يكون كذلك
ولكن الشعب الفارسي لم يسيء إليك ، فلماذا تنعته

حاجي بابا في انكلترا

تأليف جيمز موير
بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

مقدمة المؤلف

يا قارئ العزيز :

لو أنك قرأت روايتي « حاجي بابا في اصفهان »
لوجدتني فيها قد عاهدت القراء على ألا أعود إلى
الكتابة ما لم أجد تشجيعاً . فإن وجدت هذا
التشجيع وصفت له حياة « حاجي بابا » بعد سفره
إلى انكلترا سكرتيراً للسفارة الفارسية

هذا ما عاهدت عليه . ولكنني بهذا العهد
وضعت نفسي أمام مشكلة لا أعرف كيف يكون
حلها لأنني والحق أقول لا أعرف ما هو التشجيع ،
وإنما هي كلمة تورطت فيها . فإذا كان التشجيع هو
ثناء الصحف فإن الأكاذيب لا تشجع ؛ وإن كانت
إشارة للمجلات فهي لا تناول الكتب وإنما تتلصص
من عنايتها موضوعات تكتب عنها وليس لها بالكتب
علاقة ؛ وإن كان التشجيع من القراء فإنني أعترف
لك أن معظم القراء في انكلترا يشتركون بالكتب ولا
يقرأونها ، والطبعة الأولى من كل كتاب ستباع ،
صالحاً كان أو غير صالح . ولا يستطيع المؤلف أن
يعرف أهل نجاح كتابه أم لم ينجح ، ولو أن آفاقاً
من النسخ قد بيعت منه

ولما كانت هذه هي الحالة فاني كما يقول « حاجي
بابا » وضعت ذراعي البلادة على صدر الاهمال ولم

أرسلت لي بعض الأصص الغالية كان ذلك جميلاً منك »
التوقيع

ولقد تسألني أيها القاري لماذا أجد التشجيع في خطاب مثل هذا . ولقد تظن أني كالرجل الذي أراد أن يعرض جواده للمبيع فأخذ يصفه بأحسن صفات الخيل ، ولكن الجواد رحمه أمام المشتري فلم ينجل من ذلك بل قال إن جوادي يحب المداعبة لكنني أؤكد أنني لست مثل هذا الرجل ، وأؤكد أن في الخطاب تشجيعاً كثيراً . ذلك لأنه يدل على أن كتابي أثر تأثيراً كبيراً في شعب حي كالشعب الفارسي . وقد يكون هذا التأثير حافزاً له على التفكير . وأنت إذا أصبت الفارسي في كبريائه فإنك تصيبه في أقدم شيء لديه . حاول أن تسخر من فارسي ثم انظر إلى حد يضل به الغضب إليه ، لكن التفكير يحيل تلك الخلة إلى دأب على محاولة الإصلاح . فإذا استطعت أن تبين للشعب الفارسي عيوبه فإنه لا يلبث أن يصلحها ويحيلها إلى محاسن ، بعكس الشعوب الخائفة التي تعرف أن بعض صفاتها معيب ولكنهم ترضى بها على أنها كذلك ... ولقد حاولت في الصفائف التالية أن أبين أوجه التناقض بين الفارسيين اليوم وبين الشعوب المتحضرة . وفي رأي أن المواهب الطبيعية في الفارسيين لا تنقص شيئاً عن مواهب أرقى الأمم ؛ فإحسانهم حي ، وذكاؤهم متوقد ، وأنفسهم عالية ، وهم أهل شجاعة ونخوة ، ولكنهم - على الرغم من كل هذه المحاسن - في نهاية الجمل . فإذا وجدت فيهم حكومة صالحة تعنى بالتعليم صاروا كما كانوا في وقت من الأوقات من أكبر الأمم . ولقد حرصت على محاكاة لغة صديقي فكتبت إليه الرد الآتي :

بتلك الصفات سواء أكانت فيه أم لم تكن فيه ؟ ولقد أرسل الشيخ عبد الرسول خطاباً طويلاً إلى الشاه يذكر له فيه أنك تحدثت في الكتاب عن مقتل زوجة الشاه ، فلما سألتني جلالته عن ذلك حلفت له أن الشيخ عبد الرسول رجل كذاب . ولقد علمت أنك أسميتني في كتابك باسم « ميرزا فيروز » وأنت طعنت في . علمت ذلك وأنت وصفت كلامي بالسخف ، فمتى كان كلامي سخيفاً يا سيدي ؟ أنت تظن أن كتابك يدل على حذق ، ولكن الواقع أن كتاب حاجي بابا عمل في نهاية الحماقة . وأعتقد أنك أسفت على تأليفه

الانكليز يقولون إنه كتاب عظيم ، ولكنني أرى أنه ليس عظيماً . وأنا صديقك القديم فلا بد أن تكون حانقاً على جداً لمصارحتي بإياك برأيي ، ولكني مخلص في صداقتي . وأرجوك أن تضع رواية أخرى تمدح فيها الفارسيين ؛ وسيرر كتابك هذا أيماناً المكررة أمام الشاه بأنك لم تضع كتاب حاجي بابا أرجو عدم التواخذه . فأنا لا أعرف كيف أنافق ، ولنفي دائماً هي اللغة البسيطة وأنا صديقك المخلص ... ولكن لماذا كتبت عنى ؟ الله أعلم !

حاشية :

« اشتريت منزلاً جديداً يا سيدي وأنا الآن أحسن كثيراً مما كنت تعرفني . ويقول الانكليز إن أمريكا مملوءة بالفضة والذهب وإنك غني جداً . وأنا أحب الزهور الانكليزية لأغرسها في حديقة منزلي الجديد ، وقد أخذ الشاه كل أواني الخزف التي كانت عندي ؛ وبما أنك كتبت سخافات كثيرة عن « ميرزا فيروز » فابعت إلى يمدور بعض الزهور لأنني دافعت عنك أمام الشاه وحلفت باطلاً ، وإذا

لندن في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٢٦

صديقي العزيز :

تسلمت خطابك وأرجو ألا يقصر الله ظلك .
أما عن كتابي « حاجي بابا » فلماذا لم تقرأه يا سيدي
قبل أن ترسل إلي خطابك ؟

إن الشيخ عبد الرسول كذاب كبير وغبي
جداً ، ولكنك « ماشاء الله : » ... ولكنك
رجل ماهر يا سيدي . فأنت وزير وأنت تعرف القراءة
والكتابة يا سيدي ، وأنت تقول إن كتاب « حاجي
بابا » كله كذب . نعم كذب ، وكذلك كتاب
« ألف ليلة وليلة » وجميع الكتب الروائية في فارس
وفي غيرها . لماذا تغضب على إذن يا سيدي ؟ تقول
إن الشعب الفارسي لم يسيء إلي ... نعم فأنهم لم
يقتلوني ولم يمتدوا علي ديني وهذا حسن ، ولكن هل
هذا هو كل شيء بيني وبينهم ؟

وتقول : إنك صديقي وإنك كذبت على الشاه
وحلفت على الكذب ، وهذا حسن جداً يا سيدي ؛
ولكنك قلت شيئاً غير لطيف : قلت : إن أميركا
مملوءة بالذهب والفضة وإني من أجل ذلك يجب أن
أكون غنياً . لماذا يا سيدي ؟ أيلزم بالضرورة أن
تكون أنت غنياً لأن الشاه غني ؟ هذا غير لطيف
يا سيدي وأنت وزير كبير وعندك قصر جديد ،
ولكنك مع كل حال في حاجة إلى بذور للزهر
لغرسها في حديقتك فسأبت إليك بها وبالأصص
إذا ما حلفت مرة أخرى أمام الشاه من أجلي

أرجو الصفح فاني لا أعرف كيف أنافق
ولكني أتكلم في صراحة . لماذا كتبت إلي هذا
الخطاب وأنا صديقك القديم ؟ الله أعلم !

حاشية :

عندي الآن زوجة ياسيدي وعندي أولاد وأنت
وزير كبير وعندك ذهب وفضة ، وبما أنك كتبت لي
خطاباً سخيفاً وقلت : إني أكذب فأبعت إلي
بذهب وفضة ؛ وإذا أرسلت لزوجتي وأولادي بعض
شيلان كشمير كان ذلك جميلاً

جيمز موير

عزمت بعد ذلك على إتمام القصة على لسان
« حاجي بابا » أو بالحرى عزمت على ترجمة ما كتبه
« حاجي بابا » باللغة الفارسية في وصف إقامته في
انكلترا وحرصت على روحه وأسلوبه . ولدى القاري
صورة واضحة في خطاب ميرزا فيروز تبين شخصيته
ولكن هذه الصورة ستزيد وضوحاً بما سيعلم عنه في
أثناء القصة ، ولست متجيزاً للانكلز ولا مضطغناً
على الفارسيين ؛ وسأكتفي ببيان أوجه التناقض على
حقيقتها وللقاري حكمه ، ولن أطيل إلا حيث تدعو
الحاجة إلى ذلك لأن شر ما أخشاه وبخشاه الكاتب
أن يراه القاري مطيلاً مملاً ، وكل رجائي إليكم
أيها القراء الأعزاء إن رأيتم أني أطلت في بعض
المواقف أن تذكروا أني مضطر إلى الإطالة

الفصل الأول

هاجي بابا يجمع الزهرايا من أصفهان

أرسلني الشاه إلى أصفهان مبعوثاً من قبله لأجمع
من أهالي المدينة الهدايا التي سيعيث بها جلالاته معي
إلى إنكلترا بعد أن صدرت إرادته بتعييني سكرتيراً
في لندن للسفارة التي تعين فيها فيروز خان سفيراً
ووزيراً مفوضاً ومندوباً سامياً لجلالاته
وأصفهان هذه هي مدينتي التي نشأت فيها ابن

« بك » وتعيني سكرتيراً في السفارة

وما زلت حريصاً على التأدب في مخاطبة الناس
فلا أقول لإنسان « أنت » بل « أقول أنتم » ولا أقول
لزائري « اجلس » بل أقول « أرجو أن تشرفني
بمجالستك » ومع أني كنت راغباً في ألا أغير هذه
اللغة فإني ما كنت أستطيع تغييرها لو أردت لأنني
اعتدتها . ولأن الكلمات اللطيفة كانت أحلى في
أذني من الأنغام

وكان مني أمر من الشاه يبين حدود مهمتي .
وفيه أن حاجي بابا هو معهود فيه من الحكمة
وسداد الرأي قد كاف من قبلنا بجمع رؤوس من
العبيد والإماء لإرسالها هدية منا إلى شاه بلاد
الفرنجستان . وليكن هؤلاء العبيد والإماء ممتازين
بصفات خاصة حاذقين في مختلف الفنون أقوياء ليرى
فيهم هذا الملك السكافر مثلاً حسناً من عبيدنا

وعهدنا إلى « حاجي بابا » بأن يجمع رؤوساً من
الخيول العربية والتركانية لإرسالها إلى شاه
الفرنجستان أيضاً ليعجب رعاياه الكفار بما في بلادنا
مما لا نظير له عندهم ، وليكن في جملة ذلك مبرة
أصيلة لتلد في بلاده سلالة من الخيول الشرقية ،
ويكون ذلك برهاناً على حسن صداقتنا

وعلى « حاجي بابا » أن يجمع ما يليق بجاهنا
الشاهاني ، ونحن ملك الملوك ، ما يستطيع جمعه من
المنسوجات الحريرية ومن القطيفة ومن مصنوعات
يزد وقاشان ما يدل على أنه لا يوجد في العالم ذوق
سليم مثل ذوق رعيتي ، ولكي ننسج عباد عيسى على
منوال ما ننسجه نحن فيحفظوا لنا جميل تعليمهم .
وليكن بعض تلك المنسوجات للرجال والبعض
نسائياً ليكسو ملك الفرنجستان زوجاته ومحاضيه بما

حلاق وفارقها فقيراً معدماً ولكنني أعود إليها
الآن رجلاً عظيم الأهمية

دخلت شامخ الأنف أنظر في كبرياء وعظمة
إلى أهلها كأنهم تماثيل من الأحجار . ومن حسن
حظي أن أبي وزوجها فقيه المكاتب كانا قد بارحا
المدينة ، وأقاما في قرية بعيدة عند سفح الجبل . أما
صديقي القديم « علي محمد » بواب الخان الذي لو كان
حيّاً لصحبني في كل مكان ولتغني بمرافقته إياي من
إظهار الكبرياء ، فانه قد مات عليه رحمة الله

وكنيت أنجذب السير في الطريق الذي كان فيه
حانوت أبي الحلاق في أيام طفولتي حتى لا يراني
أحد جيرانه القدماء . ولم أصر كذلك في الطريق
الذي كان فيه منزلنا القديم

وكان حاكم المدينة يجهل أصلي فاحترمني من
أجل المهمة التي بمنت بها ولم ينقص من احترامه
شيئاً . وكانت المهمة سامية جداً لأنني أمثل الشاه
ولأه خول لي أن آخذ ما أشاء من أي إنسان
وأدرجه في قائمة الهدايا . وكنيت أقول في نفسي :
« أنت سميد يا درحاجي بابا » ولا بد أن يكون
الكوكب الذي ولدت ساعة بلوغه الأوج هو أسعد
كوكب في السماء ، فان ذقون أهل أصفهان وأهل
شيراز أصبحت كلهما في يدي ، ولي أن أختار أية لحية
فأنتف من شعراتها ما أشاء . ولكن تجاربي الماضية
جملتنني أضع يد الحكمة على ظهر الاعتدال . ولا يفوتني
أن أذكر أن لقبني الرسمي أصبح « عالي الجاه »
أي صاحب الجاه العالي . وهذا اللقب مطمح أنظار
الفارسيين فلا يوجد فارسي لا يتعنى أن يناله ، ولكنني
مع ذلك فضلت أن يلقبني الناس باللقب السابق وهو
« عالي الشأن » وهو لقب قبل الحصول على رتبة

فكيف نأني بالرقيق؟ وليست مثل نجد فن أن لنا
بالجباد؟ وكذلك لسنا في بلاد البحرين فأين هي
الجواهر؟ ولسنا في خراسان فكيف نحصل على
الحرير؟»

لما سمعت هذا القول من الحاكم عرفت ما الذي
يريد لاني أعرف الفارسيين وأعرف كيف تنشأ
المصاعب وما وسائل تذليلها بينهم . فهمست
في أذنه بأني لست بالرجل الذي يريد الاستئثار
بالنفع وأني سأقاسمه ما يزيد على الحاجة . فما
كدت أنطق بذلك حتى ابتسم وتلاشت المصاعب .
وفي ساعات قلائل كان القصر مملوءاً بالعبيد والإماء
والحرير والشيلاان والسجاجيد ؛ وجاء التجار من
كل مكان يقدمون لنا خاضعين أحسن ما عندهم

ولكثرة العروض من الرقيق ، ولأني عضوي في
السفارة رأيت أن أختار ما ليس له شبيه في مزاياه
لأني مسؤول عن روعة الهدية . فاخترت الجواري من
الشركسيات الموجودات في أرقى بيوت اصفهان
لتكون لمن قيمة في حريم شاه الانكليز . وكان
بينهن حبشية واحدة امتازت بخفة نومها ؛ وإذا
نامت فإنها تبقى مفتوحة العينين ؛ وقلت إن الشاه
الانكليزي سيسر بها سروراً كبيراً لأنها تنام عند
بابه فتحميه من دسائس الحريم . وكان من مزاياها
أيضاً أنها ليس لها غطيظ فهي لا تزعجه في نومه

وكان من بين الجواري أيضاً واحدة تحسن
الطهي حتى لقد سمعت أن الذي يتعود الأكل مما
تطبخه يعيش ضعف العمر المعتاد . وهل يريد الملوك
أكثر من التمتع بطول العمر مع جودة الأكل
أما العبيد فكان بينهم زنجي قوي جداً لا يقبله
أي إنسان في المصارعة فهو يستطيع أن يحمل رجلاً

لم يحلم بمثله . وليكن مع هذه الأقمشة بعض
الأحجار الكريمة ومقدار وافر من الحناء
والكحل والأقراط والأساور والديابيس والمناطق
والخواتم والآلي اللانثة بأن تهدي إلى ملك أجنبي
من الملوك ؛ فلا تستملوا شيئاً من هذه الآلي ولو
أرسلتم كل ما في البحرين

وعليه أن يجمع الزمرد والعقيق والزبرجد ليتعوذ
ملك الفرنسجتان بالتحلي بذلك من كل عين شريرة ،
وليجمع فوق ذلك كل ما اشتهرت به فارس من
الدروع والسيوف ونماذج الخطوط الجميلة والصور
والتماثيل ، والطلاسم التي تطرد الشياطين . وبالجملة
كل ما يفرح به المهدي إليه ويليق بمكانة المهدي

الفصل الثاني

« حاجي بابا » يصف جمعه للهرابا

عرضت هذا التفويض على حاكم المدينة فوجم
ولكنه لم يستطع أن ينطق بحرف . وحاكم المدينة
هذا هو ابن وزير المالية ، وقد أدهشه أن يكلف بهذه
المهمة أحد غيره وأن يكون التكليف من غير أبيه
ولما كان رئيس الوزارة عدواً لأبيه وله فقد
ظن الحاكم أن هذه إهانة متممة . ولما قلت له إننا
نريد البدء بالعمل قال : « كيف نتمكن من جمع
كل هذا ؟ إن أهل المدينة فقراء ، والذي تطلبه
لا يوجد في مدينة واحدة من مدن العالم »

فقلت : « لو كان الرأي لي وحدي فأني أقل
من التراب . ولكن متى أمر الشاه وأمره يجب أن
ينفذ بغير مناقشة »

قال الحاكم : « هذا ما لست أشك فيه
يا « حاجي بابا » ولكن اصفهان ليست بلاد النوبة

كنت أضحك بهذا القول على لحيته . ثم عرضت عليه الهدايا التي جمعت لإرسالها لـ شاه الفرنجستان فسُرَّ رئيس الوزارة وقال لي : أنت يا حاجي بابا جدير بالثقة ، ولكن ليس معنا الآن أحد في هذا المكان وأريد أن أنبهك إلى أن « فيروز خان » الذي سيكون سفيراً ورئيساً لك يحسدك على قيامك بهذه المهمة التي كان يريد أن يكلفه الشاه بها لينفذها بنفسه أو ليرسل أحد أتباعه ، فاحذر من عداوته لك وأخبرني بأعماله عند ما تصلون إلى الفرنجستان وأخبرني رئيس الوزارة أنه تحدث مع سفير انكلترا عن الغرض الذي أرسلت من أجله ، وأن هذا السفير الممين حديثاً أبدى رغبته في رؤية الهدايا قبل إرسالها ، وقبل أن يكتب الخطابات التي سترسل على لسان الشاه ووزرائه إلى انكلترا ، لأنه ليس في الحكومة الفارسية من يعرف اللغة الانكليزية ، كما قبل أن يأتي لنا بـ مترجم انكليزي يعرف اللغة الفارسية لكي يكون مترجماً للسفارة الفارسية في لندن

دُعِيَ السفير بعد عودتي إلى زيارة الشاه ليرى الهدايا ، وحضر هذه الحفلة « ميرزا فيروز » الذي تعين سفيراً ، وقد كان كلا السفيرين لا يعرف ما هي هذه الهدايا قبل أن تعرض عليهما

اجتمع الوزراء والسفيران في « الديوان خانه » وهي قاعة الاستقبال في قصر الشاه ، وقد زينت القاعة في هذا اليوم كأحسن ما تكون الزينة وحليت النافورة بالأزهار وأديرت فكانت مياهها تنثر على الزهر كالدموع على حدود الحسان . ثم أديرت الفواكه والثلجات وأمرني رئيس الوزارة بعرض الهدايا فحُتَّ بالجوارى والعبيد والخصيان وعرضتهم

ويبقى به على مسافة طويلة كما يفعل غيره بسلعة خفيفة ، فهو يأكل كبشاً كاملاً في الوجبة الواحدة وأما إماء الحرم فقد اخترت منهن اللآلئ الساحرات الميون الوافيات الأجسام . ولما لم يكف من تتوافر فيهن شرائط الجلال في أصفهان فقد جئت بأجل الجليات في شيراز ، وجمعت بعد ذلك من الجواهر والثياب ومختلف الأصناف أحسن ما هو موجود فيها وعينت عناية خاصة بالثياب والمجوهرات التي ستهدي للملكة الفرنجستان ؛ ومنها البراقع المحلاة بالذهب والخبرات وأقراط الأنف والكحل والأصباغ للشفتين والحدين والعنبر ليوضع منه على الحد شكل الحال

واخترت فتى جميلاً من الخصيان الشراكسين لتكون الملكة في حراسته « أغا » وهو قوى ماكر لا يستطيع الملكة أن تفلت من رقابته سواء أكانت من الشياطين أم من الملائكة

وقبل عودتي إلى طهران اقتسمت مع الحاكم ما زاد على الحاجة ؛ وخصصت جانباً لأهديه إلى رئيس الوزارة وخبأت ما جعلته من نصيبي بين أمتعتي وآليت ألا أطلع أحداً على هذا السر

الفصل الثالث

سفير انكلترا يعرضه على الشاه

وصلت سالماً إلى العاصمة والهدايا محملة على البغال والجوارى على الهوداج فوق ظهور الخيل والعبيد يمشون حول موكبى ، فقصدت توجاً إلى منزل رئيس الوزارة ، وفي أقل من لحظة صدر لي الإذن بمقابلته فقدمت له النصيب الذي استخلصته من الهدايا ، وأقسمت أني لم أحتفظ لنفسى بشيء . ويعلم الله أني

فقال رئيس الوزارة : « ومن الذي يمنعنا عن ضرب الخادم ولو لم يكن رقيقاً ؟ إن كل إنسان معرض للضرب ممن هو أكبر منه إلا جلالة الشاه حماه الله . فالشاه يضرب الوزير ، والوزير يضرب الموظف ، والموظف يضرب الناس »

ولما رأيت أن مجادلة السفير على هذه الطريقة لا تؤدي إلى إقناعه تلطفت وقلت له متواضعاً : « ولكنك يا نخامة السفير لم تعرف بعد مزايا هؤلاء الأرقاء ؛ فإحدى الجوارى تحرس باب الملك عند نومه حتى لا تخونه نساؤه الأخريات ، والأخرى تطيل عمره بجودة ما تطبخه »

فقال السفير : « إن الأحوال في بلادنا تختلف عن الأحوال في بلادكم ، فإن الشاه الانكليزي ينام هادي* البال كأني فرد من رعاياه ، ولا يخاف من الاعتداء عليه وهو نائم ، وهو يأكل من أي طعام ، ولا يخاف من أن يفسد له السم فيه ، وهو يثق بطباخه كما يثق برئيس وزرائه »

قلت : « وهذا الزنجي يا نخامة الوزير مثل » اسفانديار « نجسه من النحاس وذراعه من الحديد ، ولا شك أنكم لا ترفضونه فهو ضروري جداً في حاشية شاهكم »

فقال السفير : « إن عندنا مصارعين من جنسنا ، ولكنهم إذا سلبوا حريتهم فقدوا قوتهم . إننا لا نقبل الرقيق بحال من الأحوال »

عند ذلك هتفنا جميعاً : « هذا عجيب جداً ! » وانزعج ميرزا فيروز من احتمال سفره بلا هدايا . وقد كنا نعتقد أن نجاحنا في لندن يتوقف على قيمة الهدية التي نهدىها كما هي الحال عندنا وقال الوزير : « وعلى كل حال فأظنكم لا

فوقف السفير الانكليزي مندهشاً وقال : « ماهؤلاء ؟ إن الانجليز لا يقبلون الرقيق في بلادهم » قال رئيس الوزارة في هدوء : « ما هذا القول يا نخامة السفير ؟ أليس عندكم عبيد ؟ كيف إذن تقومون بالأعمال ؟ »

قال السفير : « إن كل من في بلادنا أحرار وكل من يدخلها يصير حراً »

فقال رئيس الوزارة : « ولكن هذه الهدايا للشاه الانكليزي نفسه ؛ وإذا لم يكن مسموحاً في بلادكم لأى فرد بامتلاك العبيد فلا يمكن أن يكون شاهكم كسائر الأفراد . من الذي يطبخ له ؟ ومن الذي يدخل معه الحمام ؟ ومن الذي يحرسه حين ينام ؟ أليس هذا من عمل الرقيق ؟ »

قال السفير : « ليس لملكنا الحق في امتلاك الرقيق ، فهو في ذلك كأني فرد من رعاياه ، وهو يستأجر من يخدمونه والملك نفسه من أشد الناس عداوة للرقيق فهو لا يكتفي بمنعه في بلاده ولكنه يستعمل نفوذه وقوة دولته في منعه من البلاد الأخرى »

فتح الوزير عينيه وشم وقال وهو شديد الدهشة : « أظن النشوة لا تصل بكم إلى هذا الحد . كيف تمنعون الرقيق ، وكيف يعيش هؤلاء المساكين إذا حررناهم ؟ إنهم لا يستحسنون سعادة أكبر من بقائهم معنا . فإذا تركناهم فانهم يموتون جوعاً ، وهم أبناءنا وأجزاء من عائلتنا »

قال السفير الانكليزي : « ولكنكم تستطيعون قتلهم » فقال رئيس الوزارة : « أين هو الأحمق الذي يحرق منزله بيده ؟ كيف تقتلهم ونحسر عنهم ؟ » قال السفير : « مهما تكن الحال فإنكم تستطيعون ضربهم ولا مسئولية على أحدكم في ذلك »

النوادر ولمراقبته عند نومه ولخدمة زوجته وتربية أولاده ، وكل هذا المدد من النساء في حاجة إلى خصي لأننا لانفهم أن جميع النساء في بلادكم يختلفن عن نساء بلادنا فلا تكون لكم حاجة بمن يتجسس عليهن ... فقال السفير : « مهما بدا لكم غريباً فإن هذا هو الواقع . وليس على نساتنا رقابة ، ومع كل ما للملك من السطوة فإنه لا يستطيع إخضاع امرأة لرقابته أو منعها من الخروج من المنزل أو مقابلة الناس . ولو فعل ذلك لكان حكمه حكم من يعاقب الغير بغير محاكمة ، وقوانيننا تمنع ذلك . ومن المستحيل أن يكون في بلادنا من يتجسس على المرأة لزوجها . ثم أريد أن أعرف من أين تأتون هؤلاء الخصيان ؟ »

فقال رئيس الوزارة : هل تظن أننا نأتي بأناس يخلقون كذلك ؟ كلا فإن كل موظف مغضوب عليه أو كل أسير حرب نفعل به كذلك »

الزعج السفير الانكليزي من هذا القول أيما إزعاج وأصر على ألا يقبل الخصيان في بلاده وكان الشاه يسمع ذلك ولا يتكلم ، وقد بدا على وجهه الغضب لرفض جانب من الهدايا . وفي ذلك ما لا يدل على حسن النية ، لأننا نحن الفرس نرى رفض الهدية من أكبر علامات الاحتقار ، وهو بين الملوك من بوادر الحرب . لكن لما عرضنا على السفير الانكليزي قبول الجياد وافق وأبدى علام الشكر والسرور . وكذلك قبل السيوف والدروع ومنها سيف « تيمورلنك » وآخر لنادرشاه وهو الذي كان معه لما فتح مدينة « دلهي » وخوذة جميلة للشاه اسماعيل ، وقميص طرز بآية من القرآن كان لمحمد شاه

ترفضون هذا الخصي الشر كسي فهو لا يقدر بشئ » فقال السفير : « إنني لا أعرف مهمته فما هي ؟ » قال الوزير : « إن للملك زوجات وجواري كثيرات وهن بالطبع في حاجة إلى مراقب أمين ، لأن المرأة لا تستطيع الخروج من المنزل إلا تحت مراقبة أحد من أتباع زوجها فالنساء غير مأمونات ولا محل للثقة بهن »

فأدهشنا السفير عندما أجاب بقوله : « ليس للملك عندنا إلا زوجة واحدة وجميع الرعايا يراقبون حسن سلوكها لأنها ملكة وليست في حاجة إلى خصي »

صحنا جميعاً : « لا إله إلا الله ! هذا غريب جداً ! » وقال رئيس الوزارة : « وكيف يكون ملكاً وله زوجة واحدة ؟ وما هي الفائدة إذن من كونه ملكاً ؟ ما الذي يفعله شاهكم إذا مل من زوجته ؟ »

فقال السفير : « إن الجواب على هذه النقطة بعيد عن فهمكم لاختلاف عاداتنا وعاداتكم . إن المرأة عندنا مثل الرجل في حقوقها وفي احترامها وقد تولي الملك عندنا كثير من النساء »

فكر رئيس الوزارة ثم قال : « هذا غريب جداً ! إن عاداتنا تخالف عاداتكم مخالفة كبيرة فالنساء عندنا في حكم المدم ، ونحن لا نتق بهن ونعتقد أن المرأة لم تخلق إلا لقضاء حاجة الرجل ونحن لانفهم خضوع الرجال لحكم المرأة إلا كما تفهمون خضوع النور للنعاج »

وقال فيروز خان : « إذا لم يكن للشاه الانكليزي غير زوجة واحدة ، فلديه بلا شك نساء كثيرات لحفظ ثيابه وللرقص والغناء ولقص

الدرأويش الانكليزي اسمه « القديس جورجيو » وأنه يقتل وحشاً يهاجم شاه الفرنجستان . وهذا الرسم معناه أن بلادهم آمنة . وقد كان مثل هذا الرسم على شريط من الحرير في أسفل الخطاب الذي بداخل الغلاف ؛ وكان وضع هذا الخاتم في أسفل الخطاب سبباً في مناقشة حادة بين السفير الانكليزي وبين رئيس الوزارة لأن الأخير رأي أن وضعه كذلك يعد اعترافاً من ملك الانكليز بأنه أصغر من شاهنا ملك الملوك . وقد ظهر لنا من هذه المناقشة أن هذا الملك يعتبر نفسه أكبر من كافة الملوك حتى الشاه الفارسي نفسه

ولما جاء دور الكلام على الخطاب الذي سترسله إلى ملك الانكليز قال رئيس الوزارة : إننا سنضع خاتم الشاه فوق العنوان فرفض السفير ذلك ونحن رفضنا أن نضع الخاتم في ذيل الخطاب ، ثم تم الاتفاق على أن يكون العنوان وخاتم الشاه في سطر واحد وأمر الشاه باحضار أكبر المنشئين وأكبر الكتاب لإنشاء الخطاب وتسطيره بخط جميل ، ثم يترجم السفير الانكليزي الخطاب ، وترسل الترجمة مع الأصل لجمال خطه . وقد اختار المنشئون لهذا الخطاب زهرات اللغة التي تروق ويصعب فهمها على الرجل العادي ، ولكن تناقلها الأفواه لجمالها . ولست أذكركم من كل هذا الخطاب إلا الجملة الآتية « عند ما تتعرض حديقة الأزهار التي أعوادها كلمات هذا الخطاب والتي رواحتها معانيه ، ونسيمها الاخلاص المتجلى فيه — عندما تتعرض هذه الحديقة لنجم عينيك المتألقين في سماء وجهك ، وعندما يسطع عليها ضوء نفسك من هذين النجمين ، وعندما تستنشق عبير هذا الاخلاص ، عند ذلك أتمنى أن

قال الشاه للسفير الانكليزي : « اكتب لأخي ملك الانكليز بأن يضع القميص تحت ثيابه كلما خرج إلى الحرب فإنه يضمن له النصر في كل موقعة »

وقبل السفير كذلك مع الشكر أن نبعث إلى ملكه بالمنسوجات الحريرية والشيالان والسجاجيد والجواهر والمصوغات والهدايا المرسلة باسم الملكة ؛ وقد ابتسم عند رؤيتها وقال إن جلالها ستسر بما أهدى إليها وإن كان من المستحيل أن تلبس شيئاً من ذلك »

ولما تم الاتفاق على ما يرسل وما لا يرسل عاد السفير بعد شكره للشاه وتركنا نعرب عن دهشتنا لغرابة أهل البلاد التي يسكنها هؤلاء الفرنجة

الفصل الرابع

خطاب من كبيرة زريجات الشاه إلى ملكة انكلترا كان من أهم الأمور التي يجب قضاؤها قبل سفرنا أن نكتب خطابات إلى شاه الفرنجستان ووزرائه كاتي وصلت إلينا عندما جاء سفير انكلترا إلى طهران — الخطابات التي ترجمها لنا السفير ولكننا لم نمجب بانشائها ولا بخطها ، ويظهر أن الانكليز ليس عندهم ذوق في الانشاء . ولقد أدهشنا وحيرنا شكل ختم به على غلاف الخطاب الانكليزي للشاه ، لأن عليه رسم رجل على ظهر جواد يقتل حيواناً مفترساً . ولقد جمعنا العلماء ليفسروا لنا هذا اللغز فكان جوابهم بالظن أن هذا الرسم يمثل بطل التاريخ الفارسي « رستم » يقتل الشيطان الأبيض ؛ ولكننا لم سألنا فيما بعد من أحد الفرنجة قال : إن هذا الرجل عظيم من كبار

هذا الخطاب جيء بمنشئ الدولة لوضع الصيغة النهائية ، وهذا هو نص الخطاب :

« أدعو لجلالتك دعاء طاهراً كعرض مريم العذراء البريء من كل تهمة . وسلاى إليك كشهادة عيسى لأمه . وبعد فيا لؤاثة الجلال المكنونة في أصداف المظلمة ، ويا كوكب العقل المتجلي في سماء الحكمة ، أطال الله ظلك ، وأكّد روابط المودة بين بلادنا وبلادك بحق جبريل عليه السلام ، وعطر علاقتنا بروائح الاخلاص

وقد كان تبادل السفراء سبباً في فتح باب الصداقة على مصراعيه فلتغنّ بلايل الأقلام ، على أعواد الحب والوثام ، ولتنبث زهرات المطف على أغصان الصداقة والسلام » .

« البقية في العدد الآتي » عبد اللطيف النشأ

تكون على عرش الصحة متوجاً بالسعادة والرفاء » هذه جل من الخطاب البليغ . فكيف يفهم عقل الرجل العادي أن معنى هذه الكلمات هو : « عند ما يصل إليك خطابي أرجو أن تكون في صحة جيدة »

بقي خطاب كبيرة زوجات الشاه إلى ملكة انكلترا ردّاً على خطابها . ولقد كانت هذه الملكة تجهل عوايدنا فلقبت زوجة الشاه بلقب ملكة إيران وأهدتها صورتها في إطار محلي بالجواهر

وبالرغم من أن زوجة الشاه ذات نفوذ في القصر فإنه ليس لها أقل نفوذ في الدولة . وللشاه أن يقتلها ويأتي بفيرها دون أن يشعر بذلك أي إنسان . ولكنه كان من الضروري على كل حال أن يصل إلى ملكة الفرنجستان رد على خطابها

وبعد أن حاول كتابة القصر أن يضعوا نص

المجموعة الاولى للرواية

١٥٣٦ صفحة

فيها النص الكامل لكتاب اعترافات فتى المصر لموسيه ، والأوذيسة لهوميروس ، ومذكرات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم ، وثلاث مسرحيات كبيرة و ١١٦ قصة من روائع القصص بين موضوعة ومنقولة .

الثمن ٣٤ قرشاً مجلدة في جزئين

و ٢٤ قرشاً بدون تجليد

خلاف أجرة البريد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالوثام الاثني

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة

والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش

في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون

قرشاً في الخارج عن كل مجلد